بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الأمانةُ

الخُطبةُ الأُولَى:

الحمدُ للهِ الرَّبِّ الغفورِ، العفُوِّ الرَّؤوفِ الشَّكورِ، الَّذي وَفَّقَ مَن شاءَ مِن عِبادِه لتحصيلِ المكاسِبِ والأُجورِ، وجَعَلَ شُغلَهم بتحقيقِ الإيمانِ والعملِ الصَّالِحِ، يَرجُونَ تجارةً لن تَبُورَ، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الَّذي بيدِه تَصاريفُ الأُمورِ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، أَفضلُ آمِرٍ وأَجَلُّ مأمورٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِك على محمَّدٍ، وعلى آلِه وأصحابِه، والتَّابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يَومِ البَعثِ والنُّشورِ.

أمَّا بعدُ؛ خُلُقٌ عظيمٌ لو تخلَّقَ به المجتمَعُ لَسادَ الأمنُ والإيمانُ، وعَمَّتِ الثِّقةُ بيْنَ أفرادِه، إنَّه خُلُقُ الأمانةِ، ويُضادُّه خُلُقُ الخيانةِ الَّذي يُعَدُّ مِن أَبرزِ صفاتِ المنافقينَ.

إنَّ الأمانةَ خُلُقٌ داخليٌّ يَدفَعُ الإنسانَ لِأداءِ الواجبِ، وعَدَمِ التَّفريطِ فيه، وهذا الخُلُقُ يَربِطُ العبدَ بالإيمانِ بعِلاقةٍ تلازُمِيَّةٍ، فعندما يَقوَى الإيمانُ ويَرتفعُ مَنسوبُه في قلبِ العبدِ؛ يؤدِّي ذلك إلى حِفظِ الأمانةِ، وأداءِ الحقوقِ، وبالمقابِلِ فإنَّه إذا ضَعُفَ؛ ضُيِّعتِ الأمانةُ والحقوقُ.

والأمانةُ مِن أَبرزِ أخلاقِ الرُّسُلِ -عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ-؛ فنُوحٌ وهُودٌ وصالحٌ ولُوطٌ وشُعَيبٌ كلٌّ قال لقَومِه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧]، وهذا مُوسَى عليه السلام تقُولُ عنه البِنتُ: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، ورسولُنا محمَّدٌ ﷺ قد كان في قَومِه قبْلَ الرِّسالةِ وبَعدَها مشهورًا بيْنَهم بأنَّه الصادقُ الأمينُ.

ومِن قِصصِ بَنِي إسرائيلَ في الأمانةِ: ما رَواه البخاريُّ عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه، عن رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّه «ذكَرَ رجُلًا مِن بَنِي إسرائيلَ سألَ بعضَ بَنِي إسرائيلَ أنْ يُسلِفَه ألْفَ دينارٍ، قال: ائتِني بالشُّهداءِ أُشهِدُهم. فقال: كفَى باللهِ شهيدًا. قال: فأْتِني بالكفيلِ. قال: كفَى باللهِ كفيلًا. قال: صدَقتَ. فدَفَعها إليه إلى أجلٍ مُسمًّى، فخرَجَ في البحرِ فقضَى حاجتَه، ثُمَّ الْتمَسَ مَركَبًا يَركَبُه يَقدُمُ عليه لِلأجلِ الَّذي أجَّلَه، فلَم يَجِدْ مَركَبًا، فأَخذَ خشبةً فنقَرَها، فأَدخلَ فيها ألفَ دينارٍ، وصحيفةً منه إلى صاحبِها، ثُمَّ زَجَّجَ مَوضعَها، ثُمَّ أتَى بها البحرَ، فقال: اللَّهُمَّ إنَّك تَعلمُ أنِّي تسلَّفتُ فُلانًا ألفَ دينارٍ، فسألَني كفيلًا، فقُلتُ: كفَى باللهِ كفيلًا. فرضِيَ بكَ، وسألَني شهيدًا، فقُلتُ: كفَى باللهِ شهيدًا. فرضِيَ بِكَ، وإنِّي جَهَدتُ أنْ أَجِدَ مَركَبًا أَبعثُ إليه الَّذي له، فلَم أَقدِرْ، وإنِّي استودَعتُكَها، فرمَى بها في البحرِ حتَّى وَلَجَتْ فيه، ثُمَّ انصرَفَ، وهو في ذلك يَلتمسُ مَركَبًا يَخرجُ إلى بلدِه، فخرَجَ الرَّجلُ الَّذي كان أَسلفَه يَنظرُ؛ لَعلَّ مَركَبًا قد جاء بمالِه، فإذا الخشبةُ الَّتي فيها المالُ، فأَخَذها لِأهلِه حَطبًا، فلمَّا نشَرَها وجَدَ المالَ والصَّحيفةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذي كان أَسلفَه وأتَى بالألفِ دِينارٍ، فقال: واللهِ ما زِلْتُ جاهِدًا في طَلَبِ مَركَبٍ لِآتِيَك بمالِك، فما وَجدتُ مَركَبًا قبْلَ الَّذي جئتُ فيه، قال: فإنَّ اللهَ قد أدَّى عنكَ الَّذي بعَثتَه في الخشبةِ، فانصرِفْ بالألفِ دينارٍ راشدًا» [أخرَجَه البخاريُّ (٢٢٩٠) عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه].

وهناك قِصَّةٌ أُخرى رواها البخاريُّ كذلكَ: عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: قال النبيُّ ﷺ: «اشترَى رجُلٌ مِن رجُلٍ عَقارًا له، فوَجدَ الرَّجُلُ الَّذي اشترَى العَقارَ في عَقارِه جَرَّةً فيها ذَهَبٌ، فقال له الَّذي اشترَى العَقارَ: خُذْ ذَهَبَك مِنِّي، إنَّما اشتَرَيتُ منْكَ الأرضَ، ولَمْ أَبتَعْ منْكَ الذَّهَبَ، وقال الَّذي له الأرضُ: إنَّما بِعتُك الأرضَ وما فيها، فتحاكَما إلى رجُلٍ، فقال الَّذي تحاكَما إليه: أَلَكُما وَلَدٌ؟ قال أحدُهما: لي غُلامٌ. وقال الآخَرُ: لي جاريةٌ. قال: أَنكِحوا الغُلامَ الجاريةَ، وأنفِقوا على أنفُسِهما منه وتصدَّقا» [أخرَجَه

البخاريُّ (٣٤٧٢) عن أبي هريرةَ ﷺ].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣]، وقال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْ تُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨].

وقال ﷺ: «أوَّلُ ما تَفقِدون مِن دِينِكم الأمانةُ» [أخرَجَه البيهقي (١٢٨١٩) عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ]. وقال ﷺ: «أوَّلُ ما يُرفَعُ مِن النَّاسِ الأمانةُ، وآخِرُ ما يَبقَى مِن دِينِهم الصَّلاةُ، ورُبَّ مُصَلٍّ لا خَلاقَ له عِندَ اللهِ تعالى» [أخرَجَه الطبراني (٣٨٧) عن عُمرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ].

وقال ﷺ: «آيةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ» [أخرَجَه البخاريُّ (٣٣) عن أبي هريرةَ ﷺ].

ومِن علاماتِ السَّاعةِ ضَياعُ الأمانةِ؛ فعَنْ أَبي هريرةَ ﷺ أنَّه قال: بيْنَما النَّبيُّ ﷺ في مجلِسٍ يُحدِّثُ القَومَ، جاء أعْرابيٌّ فقال: متَى السَّاعةُ؟ فمَضَى رسولُاللهِ ﷺ يُحدِّثُ، فقال بعضُ القَومِ: سَمِعَ ما قال فكَرِهَ ما قال. وقال بعضُهم: بل لَم يَسمعْ. حتى إذا قضَى حديثَه قال: «أينَ أُراه السَّائلُ عن السَّاعةِ؟». قال: ها أنا يا رسولَ اللهِ. قال: «فإذا ضُيِّعت الأمانةُ فانتظِرِ السَّاعةَ». قال: كيف إضاعتُها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهْلِه؛ فانتظِرِ السَّاعةَ» [أخرَجَه البخاريُّ (٥٩) عن أبي هريرةَ ﷺ]. وعن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ ﷺ قال: حدَّثَنا رسولُ اللهِ ﷺ حديثينِ، رأيتُ أحدَهما، وأنا أَنتظرُ الآخَرَ، حدَّثَنا أنَّ الأمانةَ نَزَلت في جَذرِ قلوبِ الرِّجالِ، ثُمَّ عَلِموا مِن القرآنِ، ثُمَّ عَلِموا مِن السُّنَّةِ. وحدَّثَنا عن رَفعِها، قال: «ينامُ الرَّجُلُ النَّومةَ، فتُقبَضُ الأمانةُ مِن قلبِه، فيظَلُّ أثَرُها مِثلَ أثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ ينامُ النَّومةَ فتُقبضُ، فيَبقَى فيها أثرُها مثلَ أثَرِ المَجْلِ، كجَمرٍ دَحرجْتَه على رِجلِك فنَفِطَ، فتَراه مُنتَبِرًا وليسَ فيه شيءٌ، ويُصبِحُ النَّاسُ يَتبايعونَ، فلا يَكادُ أحدٌ يُؤدِّي الأمانةَ، فيُقالُ: إنَّ في بَني فُلانٍ رجُلًا أمينًا. ويُقالُ لِلرَّجُلِ: ما أعقَلَه، وما أظرَفَه! وما أجلَدَه! وما في قلبِه مِثقالُ حَبَّةِ خَردلٍ من إيمانٍ». ولقد أتَى عليَّ زمانٌ ولا أُبالِي أيَّكم بايعْتُ، لَئِنْ كان مسلِمًا ردَّه عليَّ الإسلامُ، وإن كان نصرانيًّا ردَّه عليَّ ساعِيهِ، وأمَّا اليَومَ فما كُنتُ أبايِعُ إلَّا فُلانًا وفُلانًا. [أخرَجَه البخاريُّ (٧٠٨٦) عن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ ﷺ].

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «كيف بِكم، وبِزمانٍ يُوشِكُ أن يأتيَ يُغربَلُ النَّاسُ فيه غربَلةً، ثُمَّ تَبقَى حُثالةٌ مِن النَّاسِ قد مرجت عهودهم وأماناتهم، فاختلفوا هكذا وشبك بين أصابعه». قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك؟ قال: «تأخذون بما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على خاصتكم، وتذرون أمر عوامكم» [أخرَجَه ابنُ ماجةَ (٣٩٥٧) عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو ﷺ].

بارَكَاللهُ لي ولكم في القرآنِ والسُّنَّةِ، ونفَعَني وإيَّاكم بما فيهما من الآياتِ والذِّكرِ والحكمةِ، أقولُ ما سَمِعتم، وأستغفرُاللهَ العظيمَ لي ولكم من كُلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ؛ فاستَغفِرُوه وتوبوا إليه، إنَّ ربِّي لَغفورٌ رحيمٌ.

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ، ولا عُدوانَ إلَّا على الظَّالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِ المرسَلينَ، وإمامِ المتَّقينَ، وقُدوةِ النَّاسِ إلى اللهِ أجمَعينَ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه، وسلَّمَ تسليمًا كَثيرًا.

أمَّا بعدُ؛ عِبادَ اللهِ: الأمانةُ من أَنبلِ الخِصالِ، وأَشرفِ الفضائلِ، وأَعزِّ المآثرِ، والَّتي يُحرِزُ بها المرءُ الثِّقةَ والإعجابَ، ويَنالُ بها النَّجاحَ والفَوزَ في الدُّنيا والآخِرةِ، وكفَاها شَرفًا أنَّ اللهَ تعالى مَدَحَ المتحلِّينَ بها؛ فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، وقال ﷺ: «لا إيمانَ لِمنْ لا أمانةَ له، ولا دِينَ لِمنْ لا عهْدَ له» [أخرَجَه ابنُ حِبَّانَ (٣٤٧٢) عن أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ].

فالأمانةُ من الأخلاقِ الفاضلةِ، وهي أَصْلٌ من أُصولِ الدِّياناتِ، وعُملةٌ نادرةٌ تَسعى لاقتنائِها الشُّعوبُ والدُّوَلُ، وهي ضرورةٌ للمجتمَعِ الإنسانيِّ، لا فَرْقَ فيها بيْنَ حاكمٍ أو محكومٍ، أو صانعٍ وتاجرٍ، أو عاملٍ وزارعٍ، ولا بيْنَ غنيٍّ وفقيرٍ، أو رجُلٍ وامرأةٍ، فهي شَرْفٌ لِلجميعِ، ورأْسُ مالِ الإنسانِ، وسرُّ نجاحِه، ومِفتاحُ كُلِّ تقدُّمٍ، وسبَبُ كُلِّ سعادةٍ.

لقد دخَلَتْ كثيرٌ مِن بلادِ العالَمِ الإسلامِ مِن بابِ الصِّدقِ، وأمانةِ المِهنةِ، وجَودةِ العملِ، فكانَ التَّاجِرُ المسلِمُ يَذهَبُ بِبضاعتِه إلى دُوَلِ جنوبِ شرْقِ آسْيا، فيَرى النَّاسُ أمانتَه وصِدقَه، فيَسألونَ عنه وعن بلادِه ودِينِه، فيُخبِرُهم بأنَّه مسلِمٌ، وأنَّ الإسلامَ أمَرَه بِتلك الأخلاقِ، فيَدخُلون في دِينِ اللهِ أفواجًا، وكان المسلِمُ يَرعَى الحقوقَ الَّتي بيْنَ يدَيْه في أيِّ وظيفةٍ أو مِهنةٍ أو مَنصِبٍ، ويَجعلُ ذلك عِبادةً للهِ، وتقرُّبًا إليه.

(قال نافعٌ: خرَجتُ مع ابنِ عُمَرَ في بعضِ نَواحي المدينةِ، ومعه أصحابٌ له، فوَضعوا سُفرةً، فمَرَّ بهم راعٍ، فقال له عَبدُ اللهِ: هَلُمَّ يا راعِي فأَصِبْ من هذه السُّفرةِ. فقال: إنِّي صائمٌ. فقال له عَبدُاللهِ: في مِثلِ هذا اليَومِ الشَّديدِ حَرُّه، وأنت في هذه الشِّعابِ في آثارِ هذه الغَنَمِ، وبيْنَ الجبالِ ترعَى هذه الغَنَمَ وأنت صائمٌ. فقال الرَّاعي: أُبادِرُ أيَّامي الخاليةَ. فعَجِبَ ابنُ عُمَرَ، وقال: هل لكَ أن تَبيعَنا شاةً من غَنَمِك نَجتزِرُها، ونُطعِمُك من لَحمِها ما تُفطِرُ عليه، ونُعطيك ثَمَنَها؟ قال: إنَّها لَيست لي، إنها لَمَولاي. قال: فما عَسَيتَ أن يقولَ لك مَولاك إن قُلتَ: أكَلَها الذِّئبُ؟! فمَضَى الرَّاعي وهو رافعٌ إصبَعَه إلى السَّماءِ، وهو يقولُ: فأينَ اللهُ؟ قال: فلَمْ يَزَل ابنُ عُمَرَ يقولُ: قال الرَّاعي: فأينَ اللهُ؟ فما عَدَا أن قَدِمَ المَدينةَ، فبَعَثَ إلى سيِّدِه، فاشترَى منه الرَّاعيَ والغَنَمَ، فأَعتَقَ الرَّاعيَ، ووَهَبَ له الغَنَمَ) [«صِفةُ الصَّفوةِ» لابنِ الجَوزيِّ ١٨٨/٢].

وعندما فُتِحت فارِسُ، وسَقَطَ مُلكُ الأكاسرةِ، أَرسَلَ القائدُ الفاتحُ نفائسَ الإيوانِ إلى المَدينةِ المنَوَّرةِ، وكانت أكوامًا من الذَّهبِ والجواهرِ في حقائبَ بعضُها فوقَ بعضٍ، حُمِلَت من المدائنِ إلى دارِ الخِلافةِ، لَم تَنقُصْ ذَرَّةً خِلالَ آلافِ الأميالِ. قال ابن جرير: (لَمَّا قُدِمَ بسَيفِ كِسرَى مع بقيَّةِ الكُنوزِ، قال عُمَرُ: إنَّ أقوامًا أدَّوْا هذا لذَوُوا أمانةٍ. فقال له عليُّ بنُ أبي طالبٍ: إنَّك عَفَفْتَ، فعَفَّت الرَّعيَّةُ) [«تاريخُ الطَّبَريِّ» لابنِ جَريرٍ ٣٢٠/٢]. إنَّ عظَمةَ الأُممِ قبْلَ أن تكمُنَ في أجهزتِها التَّشريعيَّةِ والتَّنفيذيَّةِ تكمُنُ في قُدُراتِها النَّفسيَّةِ والخُلُقيَّةِ، وما يُنتِجُه الإيمانُ من مَواهبَ، وملَكاتٍ، وطاقاتٍ فاعلةٍ ومخْلِصةٍ ومُتقَنةٍ.

وإليكم بعضَ صُوَرِ التَّقصيرِ في الأمانةِ الوظيفيَّةِ:

١. مُوظَّفٌ وكَلتْه الدَّولةُ هذا العملَ، ويستلِمُ عليه راتبًا، وله بعضُ الامتيازاتِ، كُلُّ ذلك لِخدمةِ النَّاسِ، ومع ذلك لا يُنجِزُ معامَلاتِ الآخَرينَ، ويعقِّدُها، بل ويأخُذُ على ذلك الرَّشاوَى والهدايا، وقد يقدِّمُ بالواسطةِ غيرَ المستحِقِّ على المستحِقِّ.

٢. مُعلِّمٌ أمَّنَته الحكومةُ على تدريسِ أبنائِها، يضيِّعُ الحِصَّةَ في النَّظَرِ في الجَوَّالِ، ومتابَعةِ مواقعِ التَّواصُلِ، ويفرِّطُ في رسالتِه، فلا يؤدِّيها كما يَنبغي، وينشغِلُ عن القِيامِ بالمنهَجِ المُوكَلِ إليه، كما لا يَقومُ بتربيةِ الطُّلَّابِ على الفضيلةِ والأدَبِ والأخلاقِ البَ تَّةَ.

٣. مُوظَّفٌ أو مُديرٌ يتأخَّرُ عن دَوامِه، فتتعطَّلُ كثيرٌ من مَصالِحِ المسلِمينَ، وإذا حضَرَ ضاعتِ السَّاعاتُ في إفطارٍ وحِكاياتٍ لا عِلاقةَ لها بجَوهرِ العملِ.

٤. مهندِسٌ يُوكَلُ له عملُ الإشرافِ على مَبانٍ للدَّولةِ وطُرُقِها وجُسورِها، فيَغُشُّ في عملِه، ويجامِلُ أو يأخُذُ رَشوةً لِيَستلِمَ المشروعَ، وقد تآكلَت المَبانِي، وكشَفَ المطَرُ زَيْفَها، أو تكسَّرَت الجُسورُ، وتشقَّقَت الطُّرُقُ، فأيُّ خيانةٍ يَصنعُها هذا المهندِسُ، وأيُّ مُصيبةٍ يُحْدِثُها في المجتمَعِ، وفتِّشوا فيما قلْتُه تَ ـرَونَ العَجَبَ.

٥. مقاوِلٌ، أو كهرَبائيٌّ، أو سبَّاكٌ، أو غَيرُه، يؤمَّنُه صاحبُ البَيتِ على بَيتِه في إنجازِ العملِ أَحسَنَ إنجازٍ، فيَستغِلُّ غِيابَ صاحبِ المَحَلِّ، ويَتلاعبُ بالموادِّ، أو يقصِّرُ في البناءِ أو التَّركيبِ، فتَفسُدُ البُيوتُ في فَترةٍ بسيطةٍ، ويَتضرَّرُ صاحبُ المالِ، وهذا من خيانةِ الأمانةِ.

٦. الَّذي يَبْنِي شُقَقًا للتَّمليكِ بأرخصِ وأسوأِ الموادِّ، وأَردأِ أنواعِ العَمالةِ، ثُمَّ يَحلِفُ للمشتَري أنَّ موادَّها ذاتُ جَودةٍ، وأنَّ المقاوِلَ من أَفضلِ المقاوِلينَ، ويستأمنُه المشتَري وهو خائنٌ لأمانتِه.

٧. مُصنِّعٌ لا يلتزِمُ بمعاييرِ الجَودةِ في مُنتجاتِه، ثُمَّ لك أن تَرى سُوءَ هذه المنتَجاتِ، حتَّى أصبحَت المنتَجاتُ الإسلاميَّةُ أقلَّ المنتَجاتِ العالَميَّةِ جَودةً، وكَمْ نَتداولُ المنتَجاتِ، ونقارِنُ بيْنَ منتَجاتِنا وغَيرِنا من أُمَمِ الأرضِ، فنجِدُ الفَرْقَ الكبيرَ، والبَوْنَ الشَّاسعَ، ولو كان هناك قليلٌ من الشُّعورِ بالمسئوليَّةِ والأمانةِ مع الخِبرةِ؛ لأَضْحت دُوَلُ العالَمِ أسواقًا لمنتَجاتِنا.

٨. نَسمعُ أَنِينَ المَرضى، وآهاتِ ذَوِيهم وهم يُحدِّثوننا عن المستشفياتِ ومَظاهرِ الإهمالِ فيها، وجشَعِ بعضِ الأطبَّاءِ، وتشخيصِهم الخاطئِ للمرَضِ، وإذا جاء المريضُ إلى الطَّبيبِ؛ قال: تعالَ في المستشفى الخاصِّ لأجْلِ العلاجِ. وكُلُّ ذلك أدَّى إلى تحوُّلِ الطِّبِّ من وظيفةٍ إنسانيَّةٍ تَقومُ على الرَّحمةِ إلى وظيفةٍ مادِّيَّةٍ جشعةٍ.

٩. صاحبُ الوَرشةِ لا يُتقِنُ عملَه، فيَقومُ بتغييرِ القِطَعِ، والتَّدليسِ والغِشِّ، ورُبَّما أُعيدَت له الآلةُ المُرادُ إصلاحُها أكثرَ من مَرَّةٍ، ويدَّعي أنَّه أَصلَح الجهازَ أو السَّيَّارةَ، وهو لَم يَفعلْ شيئًا.

١٠. مسئولٌ وصاحِبُ مَنصِبٍ يأتي متأخِّرًا إلى دَوامِه الوظيفيِّ، ولا يكتفِي بذلك، بل يَحتجِبُ عن النَّاسِ في مكتبِه، وهم يقِفونَ طوابيرَ، قد جاءُوا من مَناطقَ بَعيدةٍ، ولا يُنجِزُ معامَلاتِهم، قال رسول الله ﷺ: «مَن وَلِيَ مِن أُمورِ المسلِمينَ شيئًا، فاحتجَبَ دُونَ خلتهم، وحاجتهم، وفقرهم، وفاقتهم، احتجب الله عنه يوم القيامة، دون خلته، وحاجته، وفاقته، وفقره» [أخرَجَه الحاكمُ (٧١١٩) عن أبي مريمَ ﷺ]

١١. مُوظَّفٌ، أو عامِلٌ، أو مُديرٌ، أو أيُّ مَنصِبٍ يَعتدي على مالِ الوظيفةِ وممتلكاتِها دُونَ وَجْهِ حَقٍّ، سواءً كان مالًا خاصًّا، أو مالًا عامًّا في شَركةٍ أو وَزارةٍ أو مَصنَعٍ أو مَصلحةٍ، فأينَ الأمانةُ؟ قال أبو هريرةَ ﷺ: قام فِينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يَومٍ، فذَكَرَ الغُلولَ فعظَّمه، وعظَّم أَمْرَه، ثُمَّ قال: «لا أَلْفِيَنَّ أحدكم يجِيءُ يَومَ القيامةِ على رَقبتِه بَعيرٌ له رُغاءٌ، يقولُ: يا رسولَ اللهِ، أَغِثْني. فأقولُ: لا أَملِكُ لك شيئًا، قد أَبلغتُك. لا أَلْفِيَنَّ أحدكم يجِيءُ يَومَ القيامةِ على رَقبتِه فَرَسٌ له حَمحَمةٌ، فيقولُ : يا رسولَ اللهِ. فأقولُ: لا أَملِكُ لك شيئًا، قد أَبلغتُك. لا أَلْفِيَنَّ أحدكم يجِيءُ يَومَ القيامةِ على رَقبتِه شاةٌ لها ثُغاءٌ، يقولُ: يا رسولَ اللهِ، أَغِثْني. فأقولُ: لا أَملِكُ لك شيئًا، قد أَبلغتُك. لا أَلْفِيَنَّ أحدكم يجِيءُ يَومَ القيامةِ على رَقبتِه نفْسٌ لها صِياحٌ، فيقولُ : يا رسولَ اللهِ، أغثني. أغثني. فأقولُ: لا أَملِكُ لك شيئًا، قد أَبلغتُك. لا أَلْفِيَنَّ أحدكم يجِيءُ يَومَ القيامةِ على رَأسِه رِقاعٌ تَخفِقُ، فيقولُ: يا رسولَ اللهِ، أغثني. فأقولُ: لا أَملِكُ لك شيئًا، قد أَبلغتُك. لا أَلْفِيَنَّ أحدكم يجِيءُ يَومَ القيامةِ على رَقبتِه صامتٌ –الذَّهبُ والفِضَّةُ– فيقولُ: يا

يا رسولَ اللهِ، فأقولُ: لا أَملِكُ لك شيئًا، قد أَبلغتُك» [أخرَجه مسلمٌ (١٨٣١) عن أَبي هريرةَ ﷺ]، وصَدَقَ اللهُ إذ يقولُ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

١٢. في المَحاكِمِ، وتقصيرُ بعضِ القُضاةِ، وتأخيرُهم الفَصلَ في قَضايا المتخاصمينَ، فالخُصومُ أمانةٌ في أعناقِ القُضاةِ، فلْيَرْعَ كُلٌّ أمانتَه، ولْيَحذَرْ من الخيانةِ، أو الغدرِ والنُّكوصِ على الأعقابِ، فالوَيلُ ثُمَّ الوَيلُ لمن فَرَّطَ في أمانتِه، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَيَأتِيَنَّ على القاضي العَدْلِ يومَ القيامةِ ساعةٌ يَتمنَّى أنَّه لَمْ يَقْضِ بيْنَ اثنَينِ في تَمْرةٍ قَطُّ» [أخرَجه أحمدُ (٢٥١٠٢) عن عائشةَ ﷺ].

هذا القاضي العَدْلُ، فكيف بالقاضي الظَّالِمِ؟!

١٣. الموظَّفون الَّذين يُسرِّبون أوراقًا رسميَّة من خِلالِ وظائفِهم، ويُرسِلونها لِمواقعِ التَّواصلِ مِن دُونِ مَعرفةِ مسؤوليهم، والهَدفُ من ذلك الانتقامُ من شخْصٍ مُعيَّنٍ، وهذا الأمْرُ بمثابةِ الأمانةِ في عُنُقِ الموظَّفِ، فاستخراجُ مِثلِ هذه الأوراقِ خارجَ أسوارِ عملِهم بصورةٍ لُصوصيَّةٍ هي طريقةٌ مِن طُرُقِ السَّرقةِ، وخيانةِ الأمانةِ الوظيفيَّةِ.

إذا قام كِبارُ الموظَّفينَ بواجباتِهم على التَّمامِ والكَمالِ؛ اقتدَى بهم في ذلك الموظَّفونَ التَّابعون لهم، وكلُّ رئيسٍ في العملِ سيُسألُ عن نفْسِه ومرؤوسِيه، وقد قال : «كلُّكم راعٍ فمسؤولٌ عن رعيَّتِه، فالأميرُ الَّذي على النَّاسِ فهو راعٍ عليهم، وهو مسؤولٌ عنهم، والرَّجُلُ راعٍ على أهلِ بيتِه، وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بيتِ بَعلِها ووَلدِه، وهي مسؤولةٌ عنهم، والعَبدُ راعٍ على مالِ سيِّدِه، وهو مسؤولٌ عنه، ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه» [أخرَجه البخاريُّ (٢٥٥٤) عن عبْدِ اللهِ ﷺ]

ومِن واجباتِ الموظَّفِ عِبادَ اللهِ: أن يَحفظَ أسرارَ العملِ وخصوصيَّاتِه، وعليه أن يَكونَ رحيمًا عدلًا صبورًا مع المراجِعينَ والمعامِلينَ، ومَن يَقومُ بخِدمتِهم، أو التَّعاملِ معهم، وعليه كذلك أن يَكونَ آمِرًا بالمعروفِ وناهيًا عن المُنكَرِ بالحكمةِ، فلا يَسكتُ عن المخالَفاتِ والتَّجاوزاتِ في أيِّ مَصنعٍ أو مؤسَّسةٍ أو وَزارةٍ، فيَكونُ ناتِجُ العملِ ومُخرَجاتُه وَبالًا على الأمَّةِ، وسببًا في تأخيرِ رُقيِّها وتَقدُّمِها وازدهارِها، فهل نَعِي جميعًا أمانةَ المِهنةِ والوظيفةِ، والتَّحدِّيَ الحضاريَّ الَّذي يَنتظرُه منَّا العالَمُ، فنَكونَ دُوَلًا ومجتمَعاتٍ متطوِّرةً ومتقدِّمةً ومُنتِجةً، إلى جانبِ ما نَحملُه من رسالةٍ عظيمةٍ، وقِيَمٍ خالدةٍ، فنساهمُ في سعادةِ البشريَّةِ، وتطوُّرِ الإنسانيَّةِ.

عِبادَ اللهِ: أكثِروا من الصَّلاةِ والسَّلامِ على رسولِ اللهِ.

اللَّهُمَّ إنَّا نَعوذُ بك من الفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك إيمانًا كاملًا، ويَقينًا صادقًا، وعِلمًا نافعًا.

اللَّهُمَّ خُذْ بِنواصِينا إلى ما يُرضِيك عنَّا.

اللَّهُمَّ وفِّقْنا لما تُحِبُّ وتَرْضى، وأَلهِمْنا البِرَّ والتَّقوى.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك الهُدى والتُّقى والعفافَ والغِنَى.

اللَّهُمَّ اكفِنا بحلالِك عن حَرامِك، وأَغنِنا بفضلِك عمَّن سِواكَ، يا مُقلِّبَ القلوبِ، ثَبِّتْ قُلوبَنا على دِينِك، يا مُصرِّفَ القلوبِ، صرِّفْ قلوبَنا في مَحبَّتِك.

اللَّهُمَّ اجعلْنا ممَّن استغنَى بك فأغنَيتَه، واستكفَى بك فكفَيتَه، واستعاذَ بك فأَعَذتَه.

اللَّهُمَّ مَن أَرادَنا وأَرادَ الإسلامَ بسُوءٍ، فأَشغلْه بنفْسِه، واجعلْ تدبيرَه تدميرَه يا قويُّ يا عزيزُ.

اللَّهُمَّ عليك بأعداءِ الإسلامِ والمسلِمينَ، فإنَّهم لا يُعجِزونك، اللَّهُمَّ لا تُبقِ لهم رايةً، واجعلْهم لِغَيرِهم عِبرةً وآيةً يا مُنتقِمُ يا

جبَّارُ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ إمامَنا لِهُداك، واجعلْ عمَلَه في رِضاك، ووَفِّقْ جميعَ وُلاةِ أمورِ المسلِمينَ لِلعملِ بكتابِك، وتحكيمِ شرْعِك، يا ربَّ العالَمينَ.

اللَّهُمَّ احفظْ رجالَ أَمْنِنا، وذُروعَ وطَنِنا، اللَّهُمَّ احفظْنا وإيَّاهم مِن بيْنِ أيدِينا ومِن خَلْفِنا، وعن أَيمانِنا وشمائلِنا، ونَعوذُ بعظَمتِك أن نُغتالَ مِن تَحتِنا، اللَّهُمَّ اغفرْ لشُهدائِهم، اللَّهُمَّ عافِ جَرْحاهم، واشْفِ مَرْضاهم، برحمتِك يا أرحمَ الرَّاحمينَ، اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك لشُهدائِهم الرَّحمةَ والمغفِرةَ، ولأَهلِيهم الصَّبرَ على مُصابِهم فيهم.

اللَّهُمَّ سدِّدْ رَمْيَ جنودِنا البواسلِ، ورُدَّ كَيدَ الرَّافضةِ وجميعِ أعداءِ الإسلامِ في نُحورِهم.

اللَّهُمَّ احفَظِ اليَمَنَ مِن شَرِّ الحَوثيِّينَ وأذنابِهم.

اللَّهُمَّ انصرْ جنودَنا، وكُنْ لهم عَونًا ومُعينًا، وسَدِّدْ رَمْيَهم، وقَوِّ عزيمَتَهم، وبُثَّ الرُّعبَ في قلوبِ عدُوِّك وعدُوِّهم.

اللَّهُمَّ احفظْ بلادَنا وبلادَ المسلِمينَ مِن كُلِّ مَكْروهٍ يا حيُّ يا قيُّومُ.

اللَّهُمَّ انصرْ إخوانَنا المجاهِدينَ في سبيلِك، والمضْطهَدينَ في دِينِهم في كُلِّ مكانٍ.

اللَّهُمَّ أَنقِذِ المسجدَ الأقصى مِن بَراثِنِ اليهودُ المعتدِينَ، يا قويُّ يا عزيزُ.

اللَّهُمَّ انصرْ إخوانَنا المجاهِدينَ في سُوريَا والعِراقِ، وجميعِ بلادِ المسلِمينَ، اللَّهُمَّ انصرْ جنودَنا المرابِطينَ، ووَفِّقْهم لِنُصرةِ دِينِك يا ربَّ العالَمينَ.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

أَعَدَّها

د. سعيدُ بنُ سعدٍ آلِ حمَّادٍ

www.alhmmad.net

الجمُعة ١٤٣٨/٥/٧هـ